# إبطال فرية المستشرقين أن الإمام مالكًا كان من المُغَنِّين



بقلم:
د. نبيل بن أحمد بلهي



الطبعة الثانية 1442 هـ



# إبطال فرية المستشرقين أن الإمام مالكا كان من المُغَنِّين

د. نبيل بلهي

Nabil.belhi@gmail.com

# إبطال فرية المستشرقين أن الإمام مالكا كان من المُغَنِّين.

الحمـدُ لله ربِّ العـالمين، والصـلاة والسـلام علـىٰ نبيِّنـا محمـد المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم من أئمة الهدىٰ والدين، وسلَّم تسليما كثيرا، أمَّا بعد:

فإنَّ من عادة المستشرقين تشويه الشخصيات الإسلامية، والنبش في الأخبار التاريخية، لاستخراج ما يشين الأئمة الأعلام، ويضع من مكانتهم في نفوس معظميهم، وبين يَدَيّ في هذه الورقات قصةٌ في ثلْبِ الإمام مالك احتفىٰ بها المستشرقون، مفادها أن مالكًا الإمام كان مغنيًّا يغنِّي بغناء طُوَيْسٍ ، حتىٰ نصحته أمُّهُ بطلب العلم ليتبوء مكانة مرموقة في مجتمعه،

أعرض هذه القصة علىٰ ميزان النقد العلمي لتتبين قيمة هذه الدعاوىٰ التي يطلقها هؤلاء المستشرقون حول أئمة الإسلام.



### ❖ نصُّ دعوى المستشرقين:

يقول المستشرق (جوزيف شاخت) في ترجمة الإمام مالك من «دائرة المعارف الإسلامية»: "وجاء في كتاب «الأغاني» إنه **كان يريد في البدء أن يكون مغنيا،** وأنه غيَّر مسار حياته إلىٰ دراسة الفقه، بناءً علىٰ نصيحة أمِّهِ، ولا نعرف إلَّا القليل من المعلومات المؤكدة عن دراسته..".[1]

ويقول المستشرق (كارل بروكلمان) في كتابه «تاريخ الأدب العربي»: "ورُوِيَ أن مالكًا كان **يعاشر في شبابه مغنِّي المدينة،** فقالتْ له أمُّهُ: يا بُنَيِّ إنَّ المغني إذا كان قبيح الوجه لم يَلْتَفِتْ أحدٌ إلىٰ غنائه، **فدع الغناء واطلب الفقه؛** فإنَّه لا يضرُّ معه قبح الوجه، فترك المغنِّين واتَّبع الفقهاء".[2]

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية: ٢٩/ ٨٩٢٧.

(٢) تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٢٧٤.

### ❖ مصدر القصة:

أصـلُ هـذه القصـة مـا جـاء في كتـاب «الأغـاني» لأبـي الفـرج الأصبهاني: "أخبرني محمد بن عمرو العتابي، قال: حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان -ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف- ، قال: حدَّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي، قال: حدَّثني حسين بن دحمان الأشقر قال: كنتُ بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار فجعلت أتغنَّىٰ:

**ما بالُ أهلكِ يا رَبابُ ۞ خُزْراً كأنّهم غِضابُ**

قال: فإذا خوخة قد فُتِحَتْ، وإذا وجه قد بدا تتبعُهُ **لحية حمراء**، فقال: يا فاسق أسَأْتَ التأدِيَة، ومنعتَ القائلة، وأذعتَ الفاحشة، ثم اندفع يُغَنِّيه، فظننتُ أن طُوَيْسًا قد نُشِرَ بعينه، فقلت له: أصلحك الله من أين لك هذا الغناء ؟ فقال: نشأتُ وأنا غلام حَدَثٌ أتبع المغنين وآخذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بنيِّ، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يُلْتَفَتْ إلىٰ غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه؛ فإنَّه لا يضرُّ معه قبح الوجه، فتركتُ المغنين واتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي -عزَّ و جلَّ- ما ترىٰ،

فقلت له: فَأَعِدْ جعلت فداءك، قال: لا، ولا كرامة أتريد أن تقول أخذته عن **مالك بن أنس**، وإذا هو **مالك بن أنس**، ولم أعلم".[1]

-وللأسف- انتقلتْ هذه الشبهة إلى بعض المسلمين، فذكرها الشرباصي في كتابه «الأئمة الأربعة» (ص ٧٢). و تلقّفها الشيعة الإمامية وشنّعوا بها على أهل السنة، ونالوا من الإمام مالك بسببها، حتى قال صاحب كتاب «بهج الصباغة شرح نهج البلاغة» ( ٧/ ٣٢٦): "فَمِمَّنْ تسمَّىٰ عالمًا و ليس به من أئمتهم الأربعة، «**مالك بن أنس**» الذي كان مغنِّيا من تلامذة طُوَيْس المغني كما في «**الأغاني**» و كان قبيح الوجه ، فأشارت أمُّهُ إليه بطلب الفقه فصار إمام ضلال".

وطُوَيْسٌ المذكور في القصة، هو: أبو عبد المنعم عيسىٰ بن عبد الله المدني ، كان يضرب به المثل في صناعة الغناء، توفي سنة (٩٢هـ).[2]

---

[1] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٤/ ١٥٩. وانظر القصة في: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ٤/ ٢١٦-٢١٧.

[2] السير، الذهبي: ٤/ ٣٦٤.

### ❖ الرد على الشبهة:

إنَّ المنهج العلمي الذي يحتكم إليه الباحثون، يقتضي التثبُّت في نقل الأخبار عن المشاهير، ولكننا نرىٰ المستشرقين ومن تبعهم، يقعون في خطأين كبيرين في نقلهم لهذه القصة في ترجمة مالك من دائرة المعارف التي يفترض أن تكون موسوعة علمية موضوعية:

**أولا) نقلهم للقصة من كُتُبِ الأدب وإعراضهم عن كتب التراجم،** إذ الأصل أن يعتمد في ترجمة الإمام مالك علىٰ كتب السير والتراجم المتخصِّصة؛ لأنَّها أوثق المصادر وأقربها للحقيقة العلمية، ككتاب «الطبقات» لابن سعد (٢٣٠ هـ)، و«المعارف» لابن قتيبة ( ٢٧٦ هـ) فهي قريبة جدًّا من عصر الإمام مالك، لكن هيهات أن يجدوا في مثل تلك المصادر الموثوقة مثل هذه الحكاية المكذوبة، فقد انفرد الأصفهاني بنقل هذه القصة- **وهو شعوبيٌّ متعصب ضد العرب**- وقد إنما أوردها الأستاذان (شاخت) و (بروكلمان) بغرض الحطِّ من قدر أئمة الإسلام والتهوين من شأنهم، حتىٰ يقال: إنَّ هذا الإمام صاحب

المذهب المعظَّم عندكم ، ما هو إلا مغنٍّ سابق، سلك طريق الفقه طلبًا للرفعة والمكانة في مجتمعه، وهذا من الدسِّ والطعن الذي اعتاده المستشرقون.

**ثانيا) عدم تَثَبُّتهم من صحَّة هذا الخبر**، واعتماد تلك الحكاية دون تمحيص لسندها ومتنها، وهم من يَدَّعُونَ إتقان النقد الداخلي والخارجي للأخبار، ولكنَّ فرحَهم بتلك الحكاية التي تحطُّ من قيمة الإمام مالك ومكانته الدينية جعلهم يعتمدونها؛ لأنها تخدم أهدافهم العامة من الدراسات الاستشراقية التي من بينها: **نزع القداسة عن علماء دين الإسلام، وتصويرهم بأبشع الصور، والتنقيب عن الحكايات المؤيِّدة لذلك**، بغرض زعزعة الثقة بهم في نفوس أتباعهم من المسلمين.

و عند إخضاع هذه القصة لميزان النقد العلمي، تتبيَّن لنا جلِيًّا أمارات التناقض والبطلان في سندها ومتنها.

## ١- إبطال الحكاية من جهة الإسناد:

بالنظر إلىٰ إسناد هذه القصة يبطل العجب من متنها، فلقد رُوِيَتْ من **طريق مجاهيل**، ومدارها علىٰ (**إسحاق بن محمد النخعي الأحمر**)، وهو كذَّاب وضاع من الزنادقة، تنسب إليه الفرقة الإسحاقية الذين يقولون بألوهية علي بن أبي طالب.

قال الخطيب البغدادي: "وهو إسحاق الأحمر وكان من الغلاة وإليه تنسب الطائفة المعروفة بالإسحاقية، وهي ممن يعتقد في علي الإلهية".[1]

وقال ابن الجوزي: "كان كذَّابا من الغلاة في الرفض".[2]

و قال الذهبي: "رافضِيٌّ كذَّابٌ مارقٌ".[3]

وقال ابن حجر: "إسحاق بن محمد النخعي الأحمر كذَّاب مارقٌ

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٣/ ٢٩٠.

(٢) الضعفاء والمتروكين، ابن الجوزي: ١/ ١٠٣.

(٣) المغني في الضعفاء، الذهبي: ١/ ٧٣.

من الغلاة،...قال الخطيب: سمعتُ عبد الواحد بن علي الأسدي، يقول: إسحاق بن محمد النخعي، كان خبيث المذهب يقول إنَّ عليًا هو الله، وكان يطلي برصه بما يغيره، فَسُمِّيَ: الأحمر".[1]

وليس هذا هو حاله عند **أهل السنة** فحسب، بل حتىٰ الشيعة يتبرَّؤون منه لغلوِّهِ وخبث مقالاته، قال النجاشي: "هو معدن التخليط وله كتب في التخليط، وقال ابن الغضائري: إنَّه كان فاسد المذهب، كذابًا في الرواية، وضَّاعًا للحديث مشهور".[2]

ولقد صرَّح الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة هذا الكذَّاب، أنه هو الذي **اختلَقَ قصة غناء الإمام مالك**، قال -رحمه الله- مبينًا سبب الترجمة له في كتابه مع أنه زنديق: "واعتذار المصنِّف عن أئمة الجرح عن ترك ذكره لكونه زنديقًا ليس بعذر؛ لأنَّ له روايات كثيرة موقوفة ومرفوعة، وفي كتاب «الأغاني» لأبي الفرج منها جملة كبيرة،

---

(1) لسان الميزان، ابن حجر: ٢/ ٧١.

(2) انظر، أعيان الشيعة، لمحسن الأمين: ٣/ ٢٧٨. معجم رجال الحديث، الخوئي: ٣/ ٢٢٨.

فكيف لا يُذْكَر ليُحْذَر؟...وإسحاق بن محمد هذا، اسم جده أبان وهو الذي يروي محمد بن خلف بن المرزبان عنه، عن حسين بن دحمان الأشقر قال: كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف النهار، فجعلت أتغنى: ما (بال أهلك يا رباب) الأبيات، **وفيه قصة مالك معه وإخباره عن مالك أنه كان يجيد الغناء في حكاية أظنُّها مختلقة**، رواها صاحب كتاب الأغاني عن المرزبان، **ولا يُغْتَرُّ بها فإنها من رواية هذا الكذَّاب**".[1]

فالعجب ممن يدعى المنهج العلمي كيف يترك روايات الثقات وأخبارهم ؟ ويعتمد روايات الكذَّابين في كتابة موسوعة علمية ضخمة كدائرة المعارف الإسلامية. !!

---

[1] لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني: ٢/ ٧٤.

### ٢- إبطال القصة من جهة المتن.

من دلائل بطلان هذه القصة متنًا مخالفتها للواقع الذي كان عليه الإمام مالك، فقد جاء في ترجمته في المصادر الأصلية الموثوقة، **أنَّه كان أبيض يميل إلىٰ الشقرة، حسنَ الوجه والصورة**، وصاحب هذه القصة المكذوبة يزعم أن أُمَّ الإمام مالك أرشدته إلىٰ ترك الغناء والإقبال علىٰ الفقه، وعلَّلَتْ ذلك بأن المغنِّي لا يكون **قبيح الوجه**، وهذا يُشْعِرُ بأن الإمام مالكًا كان قبيح الوجه- بحسب هذه القصة-، بينما المصادر الأصلية التي ذكرت أوصاف الإمام مالك تقول: إنه **كان حسن الوجه**، كما أن راوي القصة يزعم أن الذي أطلَّ عليه من الخوخة رجل **ذو لحية حمراء**، والإمام مالك كانت **لحيته بيضاء** ولم يكن يخضِّب لحيته، وفي هذه النصوص ما يبيِّن ذلك:

قال ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ»: "أخبرنا مطرِّف بن عبد الله اليساري، قال: كان مالك بن أنس طويلا، عظيم الهامة، أصلع، **أبيض الرأس واللحية، أبيض شديد البياض إلىٰ الشقرة**، وكان لباسه الثياب العدنية **الجِياد**، وكان يكره حلق الشاربين ويعيبُهُ ويراه من المثل، كأنَّه

مَثَّل بنفسه".[1]

وقال ابن قتيبة في «المعارف»: "**وكان شديد البياض إلىٰ الشقرة طويلاً**، عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب، ويعيبه ويراه في المثلة **ولا يغيِّرُ شيبه**".[2]

وقال القاضي عياض: " قال أبو عاصم: ما رأيت محدثًا **أحسن وجهًا من مالك**، وقال عيسىٰ ابن عمر المديني: ما رأيت قط بياضًا ولا حمرة **أحسن من وجه مالك**، ولا أشد بياض ثوب منه، ووصفه غير واحد من أصحابه، منهم مطرِّف وإسماعيل والشافعي وبعضهم يزيد علىٰ بعض، قالوا كان طويلاً جسيمًا عظيم الهامة **أبيض الرأس واللحية شديد البياض إلىٰ الصفرة**، أعين، **حسن الصورة**، أصلع، أشم، عظيم اللحية تامها...وقال مصعب الزبيري **كان مالك من أحسن الناس وجهًا، وأجلاهم عينًا وأنقاهم بياضًا وأتمهم طولاً في جودة**

---

(1) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد: ٧/ ٥٧٠.

(2) المعارف، ابن قتيبة: ص ٤٩٨.

**بدن**...قال محمد بن الضحاك: كان مالك **جميل الوجه** نقي الثوب رقيقه يكره أخلاف اللباس".[١]

وبعد هذا التدقيق يتبيَّن جليا أن الذي كان يغني في شوارع المدينة، لا يمكن بحال أن يكون هو الإمام مالك؛ لأن صفاته وهيئته لا تتطابق مع ما هو معروف عنه بالتواتر.[٢]

**وهذا الأمر ليس ببعيد أن يُنْسَبَ لهذا الإمام تحليل بعض المحرمات**، فإن من عادة الوضَّاعين وأصحاب الأهواء، أن ينسبوا بعض المحرمات لبعض العلماء المقتدىٰ بهم، لاستباحتها وتهوين شأنها للناس، ولسان حالهم يقول: مادام فلان من العلماء فعله – وهو في العلم من هو– فلا بأس بالتَرَخُصِ فيه، ولقد ذكر ابن تيمية أن مالكا -رحمه الله- نسب له مثل هذه الأقوال فقال: "...فَعُلِمَ أن هذا كذبٌ علىٰ مالك مخالفٌ لمذهبه، **كما كذبوا عليه أنه كان يأخذ طنبورًا يضرب به ويغنِّي لما كان في المدينة من يغنِّي**، حتىٰ إن أكثر المصنِّفين

(١) ترتيب المدارك، القاضي عياض: ١/ ١٢٠- ١٢٢. وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٦٩.

(٢) انظر: مالك بن أنس، أمين الخولي ص ٤٩- ٥٠.

في إباحة السماع، كأبي عبد الرحمن السلمي، والقشيري، وأبي حامد، ومحمد بن طاهر المقدسي، وغيرهم يذكرون **إباحته عن مالك وأهل المدينة، وهو كذب**؛ فإنه قد عُلِمَ بالتواتر من مذهبه النهي عن ذلك، حتىٰ قال إسحاق بن الطباع: سألت مالكا عمَّا يترخص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال: إنما يفعله عندنا الفساق".[1]

**فخلاصة القول** أن هذه القصَّة التي تداولها المستشرقون في ترجمة الإمام مالك باطلةٌ سندا ومتنا، منكرة تخالف ما كان عليه الإمام مالك من التديُّن والرغبة عن سفساف الأمور منذ صغره، فلا ينبغي التساهل في ذكرها دون بيان حالها، فإنَّ أعداء الإسلام يتحيَّنُون الفرص ويتصيَّدُون الحكايات، للطعن في أئمة الدِّين وعلماء الشريعة، ويبقىٰ الإمام مالك نجمٌ في سماء العلم والعلماء، لا تضرُّهُ مثل هذه الحكايات، فرحمَهُ الله وجزاه عمَّا قدَّم للمسلمين خير الجزاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الرد علىٰ البكري، ابن تيمية: ١/ ٨٨.